

الرّسالة ٥٠

فقيرٌ يشتري ذهباً!

(Arabic - The poor are invited to buy gold!)

أحبائي: حديثنا اليومَ موضوعُهُ: فقيرٌ يشتري ذهباً!

ومن سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الأصحاح الثالث نقرأ العددين السابع عشر والثامن عشر:

"لأنك تقول: إني أنا غنيٌّ وقد استغنيتُ ولا حاجة لي إلى شيءٍ.. ولست تعلم أنك أنت الشقيُّ والبائسُ وفقيرٌ وأعمى وعريانٌ!.. أشيرُ عليك أن تشتري مِنِّي ذهباً مُصقًى بالنار لكي تستغني".^١

إن ما يسترعى الانتباه هو نوع البضاعة المعروضة للشراء.. إنها ذهبٌ مُصقًى بالنار!.. أما الطبقة التي ينتمي إليها المشتري فهي طبقة الفقراء ويدعى أنه من الأغنياء!.. يقول أنه غنيٌّ ولا حاجة له إلى شيءٍ. أما صاحب هذه البضاعة الثمينة فهو يسوع المسيح.. وهو يدعُو هذا المُستغني قائلاً: "أشيرُ عليك".. وهل نجد مثل الربِّ مُشيراً؟!.. إن أخطرَ حالةٍ يصلُ إليها الإنسان هي حالة الاكتفاء الذاتي بعيداً عن الربِّ.

من أعراض حالة المُستغني أي الإنسان الذي يقول أنه غنيٌّ ولا حاجة له إلى شيءٍ.. هو فتور المحبة واستبدال المواهب الروحية بالمواهب العقلية والفلسفات الإنسانية.. واستغني بالوسائط البشرية والشكليات النظرية!.. والنتيجة مع الأسف هي انعدام إحساس ذلك الإنسان المُستغني بما يُعانيه من شيع وهمي وهزال روحي!.. إن الله يُخاطب ذلك الإنسان قائلاً: "لست تعلم!".. فمشكلته عدم المعرفة لأنه في غيبوبة من جهل.. وعدم إدراك حقيقة أمره. يقول الكتاب: "قد هلك شعبي من عدم المعرفة!".. أوليس من الحكمة الخضوع لمشورة الربِّ وإرشاده؟!.. فليس مثل الربِّ مُشيرٌ أو مُرشِدٌ لينيرَ أمامنا الطريق.. وينقلنا من ظلام الجهل إلى نور المعرفة.^٢

أحياناً يتواجد الإنسان في مكان غير لائق به أن يتواجد فيه.. فقد يتعرّض فيه للموت وهو لا يعلم.. مثله كمثل هؤلاء الذين يجتمعون حول موقد فحم في مكان مُغلق ليستدفئوا.. ولكنهم في نفس الوقت يستنشقون سُموماً الموت من الغاز السام المتصاعد من احتراق الفحم في ذلك المكان المُغلق.. فاذا بهم يموتون بالاختناق موتاً بطيئاً!.. قد نتساءل: ألا يشعر أحدُهم بالخطر الواقع عليهم فينتبه وينبه رفاقه؟!.. الحقيقة أن جميع المُستدفئين حول الفحم المُتقد يفتقدون الوعي شيئاً فشيئاً.. فمن يُنقذ من؟!..

وهذا ما يحدث مع كثيرين من الذين خدعهم إبليس.. إنهم مُعرضون للهلاك لأنهم فقدوا الإحساس بخطورة حالتهم.. ولكن الروح القدس يُنبئ الغافل ويُرشِد الضال ويُبكت ويحذر الخاطئ من الهلاك والموت الأبدى.. يقول الربُّ لخدام كنيسة اللاوذكيين: ولست تعلم أنك أنت الشقيُّ والبائسُ وفقيرٌ وأعمى وعريانٌ.. أشيرُ عليك أن تشتري مِنِّي ذهباً مُصقًى بالنار لكي تستغني.^٣

أحياناً يرى الإنسان نفسه بمنظار وهمي.. يرى أنه صار غنياً بفضة العالم وذهب الفاني.. ولكن الربُّ يراه بالمنظار الحقيقي.. فمهما اغتنى الإنسان بمال العالم فهو شقيٌّ وبائسٌ وفقيرٌ وأعمى وعريانٌ.. طالما يسير في طريق التيه والضللال والبعد عن معرفة الله.. عزيزي القارئ!.. إن الربِّ في محبته وغنى نعمته يقدّم لك ذهباً مُصقًى بالنار وهو أتمن وأعلى من كل جواهر العالم ألا وهو خلاص نفسك ونفسي من الهلاك الأبدى.. "لأنه

استمع إلى الإنجيل

^١ رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣: ١٧ - ١٨

^٢ سفر إشعياء ٦: ٩ ، سفر هوشع ٤: ٦

^٣ إنجيل يوحنا ١٦: ٨

مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رِيحَ الْعَالَمِ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ! .. فَلْيَتَنَا نَدْرِكُ أَتْنَا بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ اللَّهِ نَحْنُ فَقَرَاءٌ.. وَلَكِنْ يُوجَدُ رَجَاءٌ لِلْفَقِيرِ عِنْدَ اللَّهِ الْغَنَى.. لِذَلِكَ يَدْعُو الرَّبُّ قَائِلًا: "أَسِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًى لِكَيْ تَسْتَعْنِيَ".^١

وفى سفر إشعياء الأصحاح الخامس والخمسين يقول الربُّ: "أَيُّهَا الْعَطَاشُ جَمِيعًا هَلِّمُوا إِلَى الْمِيَاهِ وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ فِضَّةٌ تَعَالَوْا اشْتَرُوا وَكُلُوا هَلِّمُوا اشْتَرُوا بِلا فِضَّةٍ وَلَا ثَمَنٍ لِأَنَّنا نَشْتَرِي مِنْ "مَلِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ الَّذِي بِهِ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ". ويقولُ الْكِتَابُ: "مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعِ الْمَسِيحِ" .. أَنْ الْأَمْرَ لَا يَنْتَلِبُ مِنَّا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ نَدْرِكَ حَقِيقَةَ افْتِقَارِنَا إِلَى شَخْصِ الرَّبِّ وَحَاجَتِنَا الْمَاسَةَ لِعَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِينَا.. فَإِذَا أَتَيْنَا إِلَيْهِ بِإِيمَانٍ وَثِقَةٍ فِي كَلَامِهِ نَحْصُلُ عَلَى مَا نَفْتَقِرُ إِلَيْهِ وَنُعْتَنِي بِغِنَاهِ وَنَكْتَفِي.. لَقَدْ كَتَبَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ يَقُولُ: "اطْلُبُوا الرَّبَّ مَا دَامَ بُوْجُدُ أَدْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ.. لِيَتْرَكَ الشَّرِيرُ طَرِيقَهُ وَرَجُلٌ الْإِثْمِ أَفْكَارَهُ وَلِيَتَّبِعْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ وَإِلَى إِلَهِنَا فَإِنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ".^٢

كُنْتُ قَبْلَ مَعْرِفَتِي بِالرَّبِّ وَاخْتِبَارِي^٣ الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ.. أَلِاحِظُ فَرْقًا كَبِيرًا بَيْنَ أَوْلَادِ اللَّهِ وَأَوْلَادِ الْعَالَمِ وَحَسِبْتُ أَنَّ الْأَمْرَ يَنْتَلِبُ بَدَلَ مَجْهُودِ شَاقٍ فِي صَلَوَاتٍ وَأَصْوَامٍ كِي أَنَالَ رِضَا اللَّهِ عَلَيَّ فَيَقْبَلَنِي.. وَظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ الْحِكْمَةِ أَنْ أَنْتَظِرَ حَتَّى أَكُونَ مُؤَهَّلًا لِذَلِكَ.. وَكَمْ كَانَتْ دَهْشَتِي حِينَ عَلِمْتُ وَقَدْ تَذَكَّرْتُ أَنَّ مَا حَصَلُوا عَلَيْهِ كَانَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنْ مَجْهُودَاتٍ بَشَرِيَّةٍ.. فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَظْهَرَ بِبَرِّهِ أَمَامَ الْبَارِ الْقُدُوسِ؟!.. وَلَكِنْ يَقْبُولُ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ مُخْلِصًا وَتَسْلِيمَ الْحَيَاةِ بِالْكَامِلِ لِشَخْصِهِ الْمُبَارَكِ وَيَسْكُنِي الرُّوحُ الْقُدُسُ فِي الْقَلْبِ دُونَ اتِّكَالِ عَلَى مَجْهُودَاتٍ شَخْصِيَّةٍ وَبِرِّ ذَاتِي تَكُونُ لَنَا عِلَاقَةٌ مَعَ اللَّهِ.. إِذْ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ فِينَا فَتَأْتِي بِشَمْرِ هُوَ ثَمَرُ الرُّوحِ الْقُدُسِ الْعَامِلِ فِينَا.. اخْتَبَرْتُ هَذَا الْاِخْتِبَارَ وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ الْجَدِيدَةَ بِالْمِيلَادِ الثَّانِي وَبِلا جُهْدٍ أَبْدَلُهُ أَوْ ثَمَنٍ أَدْفَعُهُ.. فَالْجُهْدُ قَدْ بُدِّلَ وَالثَّمَنُ قَدْ دُفِعَ عَلَى الصَّلِيبِ.. وَذَلِكَ الَّذِي قَالَ: أَسِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًى لِكَيْ تَسْتَعْنِيَ وَقَالَ: "تَعَالُوا إِلَيَّ يَا ثِقِيلِي الْأَحْمَالِ وَأَنَا أَرْحِمُكُمْ" وَوَعَدَ بِالْقَوْلِ: "مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا".^٤

عَزِيزِي الْقَارِي: لَيْتَكَ تَفْتَحُ قَلْبَكَ لِرِسَالَةِ اللَّهِ إِلَيْكَ الْيَوْمَ.. فَإِذَا شَعَرْتَ بِأَنَّكَ فَقِيرٌ لِيُغْنِيَ رَبُّكَ وَيُعْوِزَكَ الْحَيَاةَ الْأَفْضَلَ.. فَتَعَالَى إِلَيْهِ لِنَشْتَرِيَ الذَّهَبَ الْمُصَفًى وَبِلا ثَمَنٍ.. حَذَارِي الْقَوْلَ أَنَّكَ غَنِيٌّ وَقَدْ اسْتَعْنَيْتَ وَلَا حَاجَةَ لَكَ إِلَى شَيْءٍ فَكُلٌّ مَنْ اسْتَعْنَى وَلَمْ يَشْعُرْ بِحَاجَتِهِ إِلَى عَطِيَّةِ اللَّهِ الْعَظْمَى هُوَ الشَّقِيُّ وَالْبَائِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعَرِيَانٌ.. إِنْ اللَّهُ لِعَظْمِ مَحَبَّتِهِ لَنَا يَدْعُونَا لِنُبَدِّلَ فَقْرَنَا إِلَى غِنَى حَقِيقِي.. فَاتِحًا بَابَ الرَّجَاءِ لِنَشْتَرِيَ مِنْهُ الذَّهَبَ الْمُصَفًى بِالنَّارِ كِي نَسْتَعْنِيَ.. قَالَ بُولَسُ الرَّسُولُ: "حَسَرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةَ لِكَيْ أَرِيحَ الْمَسِيحَ.. وَكُلٌّ مَنْ يَرِيحُ الْمَسِيحَ يَصْبِحُ غَنِيًّا بِشَخْصِيهِ لَا بِغِنَى الْعَالَمِ الْفَانِي.. كَقَفَرَاءٍ وَنَحْنُ نَغْنَى كَثِيرِينَ.. كَأَنَّ لَا شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ".^٥

عَزِيزِي.. قَدْ تَكُونُ مِنْ أَسْرَةٍ طَبِيبَةٍ مُؤْمِنَةٍ غَنِيَّةٍ بِالرَّبِّ وَمِنْ أَوْيَيْنِ تَقِيَّينَ.. وَلَكِنْ غِنَاهُمْ بِالْمَسِيحِ لَا يُغْنِيكَ عَنْهُ.. فَالرَّبُّ يَقُولُ: "أَسِيرُ عَلَيْكَ". (عَلَيْكَ أَنْتَ) أَنْ تَشْتَرِيَ (أَنْتَ) مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًى بِالنَّارِ.. فَفِي مَثَلِ الْعَذَارَى الَّذِي ضَرَبَهُ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ الْمَذْكُورُ بِإِنْجِيلِ مَتَّى.. حَسِبْتِ الْعَذَارَى الْجَاهِلَاتُ أَنَّ زَيْتَ الْعَذَارَى الْحَكِيمَاتِ الَّذِي فِي مَصَابِيحِهِنَّ يَكْفِي لَهُنَّ أَيْضًا حِينَ اِكْتَشَفْنَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ زَيْتٌ فِي مَصَابِيحِهِنَّ وَقَلْنَ لِلْحَكِيمَاتِ: اعْطِينَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ.. فَكَانَتْ إِجَابَةُ الْعَذَارَى الْحَكِيمَاتِ: "لَعَلَّهُ لَا يَكْفِي لَنَا وَلَكِنْ.. بَلْ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَائِعَةِ وَابْتَعْنَ لَكِنْ!".. أَخِي: إِنْ الْمَسِيحُ هُوَ الذَّهَبُ الَّذِي ارْتَضَى أَنْ يُصَفِيَ بِنَارِ الصَّلِيبِ نِيَابَةَ عَنِّي وَعَنْكَ.. تَعَالَى مَعِيَ لِنَشْتَرِيَ بِلا فِضَّةٍ وَلَا ثَمَنٍ.^٦

أَدْعُوكَ أَخِي الْمَحْبُوبَ أَنْ تَشْتَرِكَ مَعِيَ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَنَا الْفَقِيرُ الْمُحْتَاجُ إِلَى بَرَكَاتِهِ وَفَيْضِ نِعْمَتِكَ.. جِئْتُ مُعْتَرِفًا بِعَوْزِي.. وَحَاجَتِي إِلَيْكَ رَبِّي لِكَيْ اسْتَعْنِيَ بِغِنَاكَ.. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِ.. وَاتَّقَا أَنْتَ تَسْتَجِيبُ لِي يَا مَنْ وَعَدْتَ بِقَوْلِكَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِي الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل متى ١٦: ٢٦ ، إنجيل مرقس ٨: ٣٦ ، إنجيل لوقا ٩: ٢٥ ،

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٣: ٢٤ ، سفر إشعياء ٥٥: ١ & ٦ & ٧

^٣ اختبَارِي بِالرِّسَالَةِ ١٤٨

^٤ إنجيل متى ١١: ٢٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨ - ١٠ ، إلى مؤمنى فيلبى ٣: ٩ ، إنجيل يوحنا ٦: ٧٧

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٣: ٨ - ٩ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ١٠

^٦ إنجيل متى ٢٥: ٨ - ١٠